شهر رمضان

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ ٢٠٠٨/٩/١٩م

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المنير: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة: ١٨٥].

هذه الآية من سورة البقرة ذكرت الهداية فيها ثلاث مرات:

١- في قوله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ }

٢- في قوله تعالى: { وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ }

٣- في قوله تعالى: { وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ }

وهذه الآية تختصر الدين، فالقرآن هو الذي جُمع الدين فيه، والفرقان الذي فرقه الله سبحانه وتعالى: { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ } [الإسراء: ١٠٦].

هذه الآية تختصر الدين لأن الهداية الأولى التي في قوله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ } إنما هي هداية القلوب إلى الله، أي القلوب الغافلة التي انشغلت بالمحسوس وحكَمتها العادات، فجاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، وجاء خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله تبارك وتعالى القرآن عليه فأيقظ الناس ونبههم لتتوجه قلوبهم إلى الله.

وهكذا تكون الهداية الأولى انتباهَ القلب، وكم تغفل القلوب عن الله؟! وكم تنشغل القلوب بالأشياء..؟!

{ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ } وما قال: هدى للعرب، وما قال: هدى للمسلمين، لينبهنا إلى هذه المَهمة الكبيرة التي نحملها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مَهمة إيقاظ القلوب وتذكيرها بالله.

والانشغال بالدنيا، والانشغال بمتعها، والانشغال بأشخاصها وشخوصها... يجعل كثيرًا من القلوب لاهيةً ضائعةً غائبةً عن التوجه إلى الله، والذي بيده مقاليد السماوات والأرض، والذي حرك السماوات والأرض، والذي يرفع ويخفض وحده في السماوات والأرض إنما هو الله الذي بيده كل شيء.

ومن العجيب أن يتوجه القلب إلى كل شيء وينسى من بيده كل شيء، إنها آفةٌ كبيرة..

فجاءت الهداية الأولى تهدي القلوب إلى الله حتى تتوجه إليه وحده، وحتى تعرِض عمّن سِواه.

أما الهداية الثانية المذكورة في قوله: { وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } فإنها هداية السلوك، والسلوك الذي يتمثل الإنسان حركاته في حياته قد يكون فوضويًّا وقد يكون منضبطًا بقانونٍ بشريّ، لكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يوجِّه الإنسان بهداية ضابطة لسلوكه لكن بقانونٍ ربانيٍّ، وعندها يصير بيع الإنسان منضبطًا بهداية الله الفرقانية، وتصير معاملة الإنسان على كل الأصعدة منضبطة بأحكام الفقه وتوجيه الشريعة الإسلامية.

إذًا: فالهداية الأولى هداية القلوب، والهداية الثانية: هداية السلوك.

والذي يفهم هذه الآية في مدرسة رمضان يخرج من هذه المدرسة التذكيرية في كل عام وقد توجه قلبه إلى الله وعاش حقيقة توحيد القلب، في نفس الوقت الذي يستقيم فيه سلوكه في الهداية الثانية وينضبط السلوك فيأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وجهه إليه.

{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا } [الحشر: ٧] هي الهداية الثانية.

واختصر الهدايتين حين أرجعهما إلى المصدر، لأن نعمة الهداية الأولى ونعمة الهداية الثانية إنما هما من الله تبارك وتعالى، والفضل فيهما لله تبارك وتعالى، وهكذا قال: { وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ } [البقرة: ١٨٥] أي لتعظموه حيث هدى قلوبكم إلى وحدانيته، وهدى سلوككم إلى الاستقامة التي بها يحصل التوازن في الحياة الإنسانية.

لكن ما الذي يحصل الآن على سطح البسيطة؟

ما الذي يحصل الآن على وجه الأرض؟

الذي يحصل اضطرابٌ وفوضى، لأن الإنسان يحارب قانون الله، ويحارب الهدايتين، فلا يريد أن تتوجه القلوب إلى الله، ولا يريد أن ينضبط السلوك بالهداية الشرعية.

اليوم يعيش العالم في فوضى، واضطراب، وخصام... بل ومجتمعاتنا الإسلامية التي أصبحت ديانتها صورية تعيش هذه الحالة من القلق والاضطراب والفوضى.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم في هذا الشهر المبارك ألاَّ يحرمنا من هاتين الهدايتين، ونسأله تبارك وتعالى أن يلهمنا تعظيمه على هاتين الهدايتين، وعلى هدايته لنا في هاتين الهدايتين، وأسأله سبحانه أن يخرجنا من هذه المدرسة الرمضانية وقد غُفِرَتْ ذنوبنا وقد أصبحنا من عتقائه من النار.

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.